

مفهوم العود الأبدي في فلسفة فريدريك نيتشه

The concept of Eternal recurrence in the philosophy of Friedrich Nietzsche

د. شابحة بوعراب، أستاذة محاضرة قسم ب

جامعة مولود معمري تيزي وزو (الجزائر) chabha.bouarab@ummtto.dz

تاريخ الاستلام: 2026/07/01 تاريخ القبول: 2026/09/08 تاريخ النشر: 2026/10/01

ملخص:

نسعى من خلال هذه الدراسة إلى معالجة مفهوم العود الأبدي في فلسفة فريدريك نيتشه، وهو مفهوم يقوم على فرضية تكرار الحياة بكل تفاصيلها إلى مالا نهاية، ويقدم لنا نيتشه هذه الفكرة بوصفها تجربة تهدف إلى اختبار موقف الإنسان من وجوده، هل يستطيع أن يقبل حياته كما عاشها، بما تتضمنه من قوة ونجاح، وضعف ومعاناة، دون أن يتمنى تغييرها، أم أنه سيرفض هذا التكرار؟

وهذا المفهوم لم يكن وليد فلسفة نيتشه وحده، بل وجد جذوره في الفكر اليوناني القديم، ولا سيما عند هيراقليطس، غير أن نيتشه أعاد صياغته ومنحه أبعادا جديدة، ساعيا إلى إضفاء الطابع العلمي عليه، حتى لا يظل حبيس التأملات الميتافيزيقية المجردة، وعليه يهدف هذا المقال إلى تحليل مفهوم العود الأبدي وبيان دلالاته الأساسية، مع إبراز علاقته بجملة من المفاهيم الأساسية في فلسفة نيتشه، مثل إرادة القوة، والإنسان الأعلى، بما يسمح بفهم أعمق لوظيفته داخل مشروع الفلسفي.

كلمات مفتاحية: فريدريك نيتشه، العود الأبدي، موت الإله، إرادة القوة، الإنسان الأعلى.

Abstract

This study aims to examine the concept of eternal recurrence in the philosophy of Friedrich Nietzsche. This concept is based on the hypothesis that life, in all its details, recurs infinitely. Nietzsche presents this idea as a thought experiment intended to test an individual's attitude toward existence: can one affirm one's life exactly as it has been lived with all its strength and triumphs as well as its weakness and suffering, without wishing to change anything, or would one reject such a repetition?

This concept was not entirely original to Nietzsche, as its origins can be traced back to ancient Greek thought, particularly to Heraclitus. However, Nietzsche reformulated it and endowed it with new dimensions, seeking to provide it with a more scientific foundation so that it would not remain confined to purely metaphysical speculation. Accordingly, this article aims to examine the concept of eternal recurrence clarify its fundamental meanings, and explore its relationship to key notions in Nietzsche's philosophy, such as the will to power and the ubermensch, in doing so, it seeks to provide a deeper understanding of the role and significance of eternal recurrence within Nietzsche's philosophical project.

Keywords: Friedrich Nietzsche, Eternal recurrence, Death of God, will to power, the Übermensch.

*المؤلف المرسل: شابحة بوعراب

1. مقدمة

لقد تطرق فريدريك نيتشه في فلسفته إلى معالجة العديد من القضايا المتعلقة بالإنسان، لا بوصفه كائنا بسيطا، بل باعتباره كائنا يسعى إلى تجاوز ذاته، لكن كيف يتحقق هذا التجاوز عند نيتشه؟ وماذا يمكن أن يصبح هذا الكائن؟، وهنا برزت مجموعة من المفاهيم الأساسية، مثل نقد الأخلاق، والإنسان الأعلى، ومفهوم العود الأبدي الذي احتل مكانة مركزية في مشروعه الفلسفي، وتقوم هذه الفكرة على أنّ كل ما حدث من قبل سيعود ليتكرر إلى ما لا نهاية، وبالتفصيل ذاتها، وهذا المفهوم لم يكن وليد فلسفة نيتشه وحده، بل تعود جذوره في الفكر اليوناني القديم، ولا سيما عند هيراقليطس، غير أنّ نيتشه أعاد صياغته ومنحه أبعادا جديدة، ساعيا إلى إضفاء الطابع العلمي عليه، حتى لا يظل حبيس التأملات الميتافيزيقية المجردة.

وهذه الفكرة صاغها نيتشه بهدف تقويض الأسس الميتافيزيقية والأخلاقية التي هيمنت على الفكر الغربي منذ أفلاطون، من أجل زعزعة الإيمان بخطية الزمن وفكرة التقدم المتواصل بوصفهما مسلمات غير قابلة للنقد، وبناء على ذلك، لا ينبغي فهم العود الأبدي بوصفه مجرد فرضية فيزيائية تتعلق بتكرار الكون، بل كاختبار وجودي يضع الإنسان أمام سؤال حاسم: هل يستطيع أن يقبل تكرار حياته بكل تفاصيلها إلى ما لا نهاية؟ وهذا السؤال يعكس تصور نيتشه لإرادة القوة باعتبارها مبدأ لتفسير الحياة، ومن ثم يرتبط هذا المفهوم ارتباطا وثيقا بفكرة الإنسان الأعلى، ذلك الذي يسعى إلى تجاوز الأخلاق التقليدية ليؤسس قيمه الخاصة، بعد أن أكد على قبول تكرار حياته بكل تفاصيلها، وهنا يصبح العود الأبدي معيارا لقياس مدى قدرة الفرد على تأكيد وجوده دون تعب أو ملل، لذلك تعددت تفسيرات هذا المفهوم لدى الفلاسفة، إذ قدم كل منهم تقييما خاصا وفقا لوجهة نظره، فهل مفهوم العود الأبدي عند فريدريك نيتشه يعبر عن حقيقة كونية، أم أنه مجرد أطروحة فلسفية تهدف إلى اختبار موقف الإنسان من الحياة؟

2. تحديد المفاهيم

1-2 مفهوم العود

يعود مصطلح "العود" في اللغات الأجنبية المقابل لكلمة Palingenesis ، إلى أصل يوناني، ويتكون من مقطعين: Palin بمعنى "مرة أخرى"، وgenesis بمعنى "الميلاد"، أو "النشأة"، وعليه يدل المصطلح على "الميلاد الجديد" للأفكار أو الأحداث، كما يستعمل أيضا للدلالة على عقيدة تناسخ الأرواح. (مراد وهبة، 2007، صفحة 441).

والعود كما ورد في معجم جميل صليبا: هو الرجوع إلى الحياة بعد الموت الحقيقي أو الظاهر، وهو مرادف للعبث، ويعني العود عند الروائيين الرجوع الدوري للحوادث نفسها رجوعا أبديا، أي تكرار حدوث الأشياء في دورات جديدة

تعيد ما وقع في الدورات السابقة، أما نظرية العود عند شارل بوته فتقوم على أن جميع الكائنات الحية تولد من جديد في كل دورة، لأن في كل كائن حي بذورا لا يلحقها الفساد، تمكنه من الولادة مرة أخرى بعد موته الظاهري، واستئناف حياة جديدة تتناسب مع حالة العالم الجديدة. بينما يرى باللانز أن العود يعني أن المجتمعات الإنسانية، شأنها شأن الأفراد، تولد في كل دورة ولادة جديدة، وكأن هناك قانونا تاريخيا عاما يفرض على كل شعب أن يمرّ بالمراحل المتعاقبة نفسها التي مرت بها الشعوب الأخرى، حتى تبلغ الإنسانية غايتها. (جميل صليبا، 1982، صفحة 113)

2-2 مفهوم الأبد

الأبد هو الزمان الذي لا بداية له ولا نهاية، أو المدة التي لا يتصور انتهاءها بالفكر أو التأمل، كما يدل أيضا على الشيء اللامتناهي.

وفي هذه المفهوم يميز الفلاسفة بين الأبد الزماني والأبد اللازماني،

-الأبد الزماني: هو المدة التي لا حد لها في الماضي ولا في المستقبل، أو الزمان الدائم الذي لا بداية له ولا نهاية، وبهذا المعنى يعد الأبد صفة من صفات الله تعالى، لأنه كان وسيظل موجودا على الدوام.

-الأبد اللازماني: هو المطلق أو الوجود الذي لا نهاية له، وهو مقابل للزمان، فكل حادث، وكل موجود متناه يوجد في الزمان، أما الموجود الأبدي فليس حادثا، ولا يسبقه قبل ولا يلحقه بعد، بل هو حضور أبدي متعالٍ على الزمان. (جميل صليبا، 1982، صفحة 29، 30)

3. الجذور التاريخية لفكرة العود الأبدي

إن فكرة العود الأبدي لم تبدأ في الحقيقة مع نيتشه، بل يمتد تاريخها إلى عصور سحيقة، إذ تعود جذورها إلى حضارات قديمة قامت على أسس أسطورية، ليس لها أية علاقة بالعلم والمنطق العقلي، وهذا ما سنتطرق إليه في هذا العنصر.

1-3 العود الأبدي عند سكان بلاد ما بين النهرين

لقد كانت فكرة العود الأبدي حاضرة في حضارة بلاد ما بين النهرين، إذ رأى أهلها أن العالم يتكشف على نحو دوري، بحيث يتكرر تسلسل الأحداث بعد آلاف السنين بصورة مطابقة لما سبق، مع ثبات ترتيب بعض العناصر، وقد اكتشف علماء الفلك البابليون أن الدورات الإقترانية للكواكب وكذلك الدورات السنوية للشمس والقمر تعدّ مضاعفات فرعية لفترة مشتركة واحدة، تعرف "بالسنة العظيمة"، وفي نهاية هذه السنة تعود الشمس والقمر والكواكب إلى مواقعها الأصلية قياسا بالنجوم الثابتة، ومن هنا توصلوا إلى أن حياة الكون دورية، تتكرر فيها المراحل نفسها باستمرار، وهذا ما يعرف بالعود الأبدي. وتشهد السنة العظيمة في مرحلتها كارثتين: الأولى كارثة نارية، تقع عند الانقلاب الصيفي للكون أثناء اقتران الكواكب في برج السرطان، أما الثانية فهي كارثة مائية، تقع عند الانقلاب الشتوي للكون أثناء اقتران الكواكب في برد الجدي. (Marius, 2019, p. 06) ، وهكذا تتكرر الكارثتان باستمرار.

2.3 العود الأبدي في الحضارة الهندية

كانت فكرة العود الأبدي حاضرة أيضا في الفكر الهندي، وقد عدت من المفاهيم المرتبطة بالفكرين الهندوسي والبوذي، إذ نظر الهندو إلى الوجود بوصفه معاناة، لذلك سعوا إلى التحرر من دورة التناسخ والعود المستمر إلى الحياة، وركزوا على العمل الصالح بهدف بلوغ حالة الانعتاق النهائي من العودة، ويتحقق ذلك بالدخول في ما يعرف بـ"النرفانا"، التي تعني حرفيا "الخمود"، وهي الحالة التي يصل إليها البوذي، حيث تُخمد شهواته الجسدية، وتتحقق سكينته النفس، فيبلغ الإنسان الراحة الأبدية (جعفر، 1999، صفحة 383)، وفي هذا الصدد ترى البوذية أن الموجودات ليست إلا سلسلة متتابعة من الأحداث أو الظواهر المتشابهة، وأن الثبات ليس إلا تصورا وهميا.

3-3 العود الأبدي عند اليونان

لقد استخدم الإغريق فكرة العود الأبدي من خلال مفهوم *Palingénésie*، ومعناه "الولادة الجديدة" أو "التجدد"، وقد ظهرت هذه الفكرة بوضوح في فلسفة أنكسمندر (Anaximandre)، الذي قال بوجود عدد لا متناهي من العوالم، حيث يحدث تعاقب الأحوال المختلفة، كما اعتقد بما سماه "الفناء الكوني"، وأقر باللامتناهي باعتباره علة مادية وعنصرا أوليا للأشياء، وهو سرمدى وأبدي يحتوي جميع الأكوان التي تفصل بينها مسافات شاسعة، إذ تنشأ وتفتى ليولد غيرها (جعفر، 1999، صفحة 384)، وهنا أقر أنكسمندر بتعاقب أحوال للعوالم، وهو ما سيعرف لاحقا بالعود الأبدي.

كما ظهرت هذه الفكرة عند الفيثاغوريين، بدليل اعتقادهم أن الزمان يعود كما مضى من قبل، وأن حوادث العالم تتكرر على نحو يشبه تعاقب فصول السنة بعد اكتمال دورتها، وقد كانت الفيثاغورية بمثابة حركة إصلاح وتجديد في عبادة ديونيزيوس، إذ احتفظت منها بمبدأ استمرار الحياة في دورات يتعاقب فيها الموت والحياة، وهو ما يعرف بالعود الأبدي، وقد ازدادت هذه الفكرة وضوحا عند هيراقليطس الذي اعتبر النار العنصر الأساسي للكون، حيث تلهم العالم بين فترة وأخرى، ثم يعود بعد ذلك إلى حالته السابقة، وذلك في دورات زمنية متعاقبة.

كان هيراقليطس (Héraclite)، كغيره من فلاسفة اليونان، يؤمن بأن الجوهر ثابت، بينما حالاته هي التي تتغير فقط، فلا شيء يخلق عنده من عدم، ولا شيء يفنى فناء مطلقا، والعالم في نظره، ليس إلا مجموعة من التناقضات التي يمكن التغلب عليها لتحقيق نوع من الانسجام، فالعالم حسب هيراقليطس يشتعل في مرحلة بالنيران، وفي مرحلة أخرى يعيد تشكيل نفسه منها، وفق فترات زمنية محددة، إذ يشتعل بدرجة معينة وينطفئ بدرجة معينة، كما أقر أيضا بما يعرف بالسنة العظيمة التي تقدر بنحو 108000 سنة شمسية. (Marius, 2019, p. 7)

كما نجد أيضا أمبادوقليس (Empédocle)، الذي أرجع العلة الأولى للوجود إلى العناصر الأربعة وهي: الماء، والهواء، والنار، والتراب، وقد اعتبر هذه العناصر متساوية في الألوهية والقيمة والخلود، وترى نظريته أن هذه العناصر تجتمع وتنفصل بفعل قوتين إلهيتين هما: الحب الذي يجمع، والكراهية التي تفرق، وهكذا تتصارع هاتان القوتان، فتغلب إحداها الأخرى في دورات مستمرة تحكم سير العالم. (جعفر، 1999، صفحة 385)

أما بالنسبة للرواقيون فقد تأثروا بنظرية هيراقليطس التي تقرأ أن الناري أصل الوجود الدائم التغير، كما أخذوا أيضا بفكرة الاحتراق الكوني، التي بموجبها تنتهي الدورة الكونية لتبدأ من جديد، وهي ما يعرف بفكرة العود

الأبدي (مطر، 1965، صفحة 272)، ومن أبرز القائلين بالعود الأبدي لدى الرواقيون الأوائل: زينون، وكليانثيش، وديوجين البابلي، ويرجع أصل هذا المفهوم إلى البابليين، ويتضمن مفهوم العود الأبدي لديهم عدة أفكار تتمثل في: أ-التكوين الكوني الفلكي: في البداية تتكون النار الإلهية الأولية، ومنها ينشأ الهواء بفعل التكثيف، ثم الماء وأخيرا الأرض، بعد ذلك تصطف الكواكب وفقا لما ذكره بورفيريوس، وهو من اتباع الأفلاطونية المحدثة، حيث افترض وجود بوابتين كونيتين هما: السرطان والجدي، فالسرطان يمثل البوابة الواقعة في جهة الشمال بالقرب من بوريث، وهو مناسب للنزول، إذ تنحدر منه الأرواح، أما الجدي فيمثل البوابة التي تصعد منها الأرواح لوقوعه من جهة الجنوب بالقرب من نوتوس وهو الأنسب للصعود.

ب-الدورة: قدرت السنة العظيمة، وهي الفترة التي تعود فيها الكواكب في نهايتها إلى مواقعها التي كانت عليها عند نشأة العالم من قبل ديوجين البابلي بـ 365×10800 سنة، أما أفلاطون فقد أقر فيما يتعلق للبشرية عددا يستفاد من جذره المقترن بالخمسة ويرجح أن يقابل 3600×3600 أو 12960000 سنة في حين قدرها بيروسوس بـ 432000 سنة، أو بما يعادل جزءا من ثلاثين من هذه القيمة.

ج-الحريق الأخير: يتصور الحريق هنا بوصفه دمار العالم وارتداده إلى النار الإلهية التي ينشأ منها.

د -التكرار: يقصد به عودة الأحداث لتتكرر كما كانت عليه من قبل.

هـ-الأبدية: تعني أن الدورة تتكرر بلا نهاية: ويتم ذلك في السماء عندما يعود كل نجم من النجوم الجواله، في خطوط الطول والعرض، إلى النقطة نفسها التي كان عليها في البداية أثناء تشكل العالم، وترى هذه الفكرة أن النجوم المتحركة تتسبب بعد فترات زمنية محددة في احتراق جميع الكائنات وتدميرها، وعندما تبدأ هذه النجوم في إعادة المسار الذي سلكته سابقا، يُعاد تشكل العالم من جديد، ويحدث كل ما وقع في الدورة السابقة بالطريقة نفسها تماما، وهكذا يعود سقراط إلى الوجود، وكذلك أفلاطون، ويعود كل فرد مع عائلته وأصدقائه، ويتعاملون مع الأشياء نفسها، ويعانون أيضا من المشكلات ذاتها، كما تعود كل مدينة وكل بلد، ولا يحدث ذلك مرة واحدة فقط، بل يتكرر مرات لا نهائية.

أما فيما يتعلق ببقاء الروح أو فنائها في إطار فكرة العود الأبدي فقد اختلف الفلاسفة حول هذه المسألة، هناك من يرى أن الروح تبقى بعد الجسد مدة طويلة ثم تتلاشى في النهاية، وهناك من يرى أن الأرواح الضعيفة تموت بموت الجسد أو بعده بقليل، بينما تبقى أرواح الحكماء لأنها استطاعت مقاومة الأهواء، ولذلك فهم وحدهم من ينعمون بهذا الخلود المحدود، وفي هذا السياق يفهم العود الأبدي على أنه عودة ما يحدث مرارا لا مرة ولا مرتين، بل مرات لا حصر لها، بحيث تتكرر الآراء والأفكار نفسها عبر الزمن، كما ناقش بعض المفكرين نظرية مفادها أن التاريخ يعيد نفسه كل 36000 سنة شمسية، بكل تفاصيله الدقيقة، وأن الكواكب والأبراج تعود إلى مواقعها الأصلية. (Marius, 2019, p. 8)

هذه هي فكرة العود الأبدي كما أقرتها الفلسفات السابقة، ثم جاء نيتشه ليمنحها بعدا جديدا ورؤية مغايرة، بعيدة عن تصوراتها التقليدية السابقة.

4-العود الأبدي عند فريدريك نيتشه:

لقد درس الفيلسوف فريدريك نيتشه (1844-1900)، الفلسفة اليونانية دراسة معمّقة، وفيها اكتشف فكرة العود الأبدي، ومع ذلك، نسب هذه الفكرة إلى نفسه باعتباره أول من نادى بها بصيغتها الخاصة، وهو الذي كشف عن بعض نتائج المهمة، على خلاف ما كانت عليه في الأزمنة الماضية، لم تُستخلص منها آنذاك أية نتائج أخلاقية ذات قيمة، إذ لم تكن سوى نظرية ميتافيزيقية، ولم يحاول أحد أن يجعلها نقطة مركزية لفهم عام للعالم من الناحيتين الأخلاقية والدينية معا، ورغم إقراره بها فإن اهتمامه بها جاء متأخرا، فاكتملت بذلك صفات جديدة واحتلت مكانة رئيسية في فلسفته.

أقر نيتشه أن فكرة العود الأبدي جاءت فجأة في أحد أيام شهر أوت عام 1881، أثناء نزهة على ضفاف إحدى بحيرات سويسرا، وقد ظهرت هذه الفكرة لأول مرة في مؤلفه العلم المرح تحت عنوان أثقل وزن، حيث يقول: ماذا لو أن هناك شيطانا تسلس يوما، أو ليلة، إلى أشد لحظات وحدتك انزواءً، وقال لك: "هاته الحياة، مثلما تحياها الآن، ومثلما حبيبها، سيلزمك أن تحياها مرة أخرى ومرات لا حصر لها؛ ولن يكون فيها شيء جديد، سوى أن كل ألم وكل متعة، كل فكرة وكل تأوه وكل ما هو مُتناهٍ في الصغر والكبر في حياتك لا بد أن يعود إليك، والكل في نفس النظام ونفس التتابع – تلك الرتيلاء أيضا، وضوء القمر هذا بين الأشجار، وهاته اللحظة وأنا نفسي. إن ساعة الوجود الرملية الخالدة لا تفتأ تُعكس من جديد -وأنت معها، يا ذرة غبارٍ من الغبار" (Nietzsche, pp. 295, 296). أي أن الحياة التي عاشها الإنسان بكل تفاصيلها سيعيشها مرة أخرى، بالأحداث نفسها والتفاصيل ذاتها، من غير أدنى تغيير، فهل يستطيع الإنسان تحمل ذلك؟

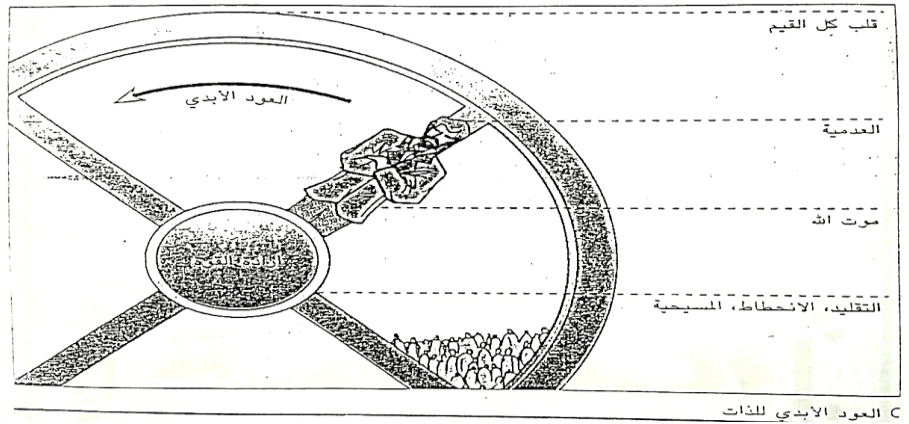
كما نجد هذه الفكرة أيضا في كتابه هكذا تكلم زرادوش، حيث يرمز الشعبان الذي يصاحب زرادوش إلى الأبدية في دوراتها والتفافها وعودتها إلى نقطة البداية، بينما يرمز النسر إلى الفكرة الأخرى المركزية، وهي إرادة القوة، ولهذا قال نيتشه على لسان زرادوش: "سأعود بعودة هذه الشمس وهذه الأرض ومعني هذا النسر وهذا الأفعوان سأعود لا لحياة جديدة ولا لحياة أفضل ولا لحياة مشابهة بل انني سأعود أبدا إلى هذه الحياة بعينها اجمالا وتفصيلا فأقول أيضا بعودة جميع الأشياء تكرر وأبدا" (فريدريك نيتشه، 1938، صفحة 189)، ويرى نيتشه من خلال هذا التصور أن الوجود ليس صيرورة خطية لا نهائية، بل هو أشبه بدورة كونية متكررة، يسميها نيتشه السنة العظمى، فحين تنتهي هذه الدورة، تبدأ دورة جديدة وفق النظام نفسه، لتتكرر العملية بلا نهاية، بحيث يعود الوجود إلى نفسه باستمرار في حركة دائرية أبدية.

ولهذا يُقسم زمان الوجود إلى دورات، بحيث تمثل كل دورة تكرارا تاما للدورة السابقة دون أي اختلاف بينهما، وكأن الوجود صورة واحدة مُكرّرة بلا انقطاع في الزمن اللانهائي، لهذا قال على لسان زرادوش: "إن من له عقليتنا يرى الأشياء متراقصة لنفسها لأن كل الأشياء تتقدم إلى مسرح الوجود فتتصافح وتضحك وتنسحب ثم تعود، الكل يذهب والكل يرجع وعجلة الكون تدور إلى الأبد، كل شيء يموت وكل شيء يعود فتنور أزهاره ودوائر الوجود لا انتهاء لها" (فريدريك نيتشه، 1938، صفحة 186).

مفهوم العود الأبدي في فلسفة فريدريك نيتشه

فإذا كان الأمر كذلك، فإن الإنسان سيحيا من جديد الحياة نفسها التي عاشها سابقا، وسيعاني الآلام ذاتها، وينال الحظ نفسه الذي ناله في تجربته الأولى، لأن الحالات الممكنة لهذا العالم قد تحققت من قبل، لا مرة واحدة، بل مرات لا نهائية، ومن ثم فإن حياة الإنسان عند نيتشه تشبه الساعة الرملية التي تقلب باستمرار، فتعود لتفرغ من جديد في حركة دائمة لا تنتهي ولهذا قال نيتشه على لسان زرادشت: "ها أنذا أموت وأتورى وعما قليل أصبح عدماً فإن الأرواح تفى كما تفى الجسوم، غير أن شبكة العلل الدائرة بي ستعود يوما فتخلقني مجددا فما أنا إلا جزء من علل العود الأبدي لكل شيء". (فريدريك نيتشه، 1938، صفحة 189)

وهكذا يصبح الإنسان مسؤولاً أمام نفسه عن كل ما يقوم به من أفعال، لأنه سيعيش هذه الحياة مرات لا متناهية، وهنا تتجلى الأهمية الكبرى لفكرة العود الأبدي عند نيتشه، والتي تتمثل في أثارها الأخلاقية العميقة، من حيث صلة الإنسان بالوجود، إذ تنطوي هذه الفكرة على بعدٍ مقلق، يظهر في قول زرادشت: "وأسفاه إن الإنسان سيعود، سيعود الإنسان الصغير دورا فدورا إلى الأبد... إن هذا ما يرهقني من الوجود". (فريدريك نيتشه، 1938، صفحة 188)، فالحياة في نظر نيتشه، تبدو بائسة عندما يعيشها المتوسط الخامل، أما الإنسان المتفوق فله موقف مغاير تماما، إذ يجعل من هذه النظرية قوة دافعة تمنح للحياة معناها، فلا يرى في الوجود إلا دورة وتكرار، ولا يقوم بأي فعل إلا إذا كان يستحق أن يُخلد ويعاد إلى الأبد، وبهذا يعيش في حالة من السمو والارتقاء المستمر، ويزداد تعلقه بالحياة، ويتلاشى خوفه من الموت، مادامت هذه الحياة ستعود من جديد، ولهذا قال نيتشه على لسان زرادشت: "كيف لا أحن إلى الأبدية، إلى دائرة الدوائر حيث يصبح الانتهاء عودة إلى الابتداء". (فريدريك نيتشه، 1938، صفحة 195)، وهذا ما يوضحه الشكل التالي:



الشكل 1 (أطلس الفلسفة، بيتر كونزمان، 2001، ص 178)

يمثل هذا الشكل تصورا رمزيا لفكرة العود الأبدي عند فريدريك نيتشه، حيث تشير الدائرة إلى حركة الزمن الذي لا يتحرك في خط مستقيم بل يدور ويعود إلى نفسه إلى ما لا نهاية، أما السهم فيشير إلى تكرار الحياة بكل ما فيها من أحداث وتجارب دون نهاية، أما في مركز الدائرة تظهر "إرادة القوة"، وهي الفكرة التي يرى نيتشه أنها تمنح الإنسان القدرة على مواجهة هذا التكرار وقبول الحياة كما هي، كما تحيط بهذه الدائرة سلاسل وطبقات التي ترمز بدورها إلى القيود الدينية والتقاليد القديمة التي اعتبرها نيتشه سببا في ضعف الإنسان وانحطاطه، كما يظهر في

الشكل أيضا مفهوم "موت الإله" الذي يعبر عن انهيار القيم القديمة، وفقدانها لقدرتها على إعطاء معنى للحياة مما يضع الإنسان أمام أزمة وجودية تدفعه إلى إعادة التفكير في قيمه وحياته.

كما يقدم هذا الشكل تلخيصا تقريبا لفلسفة نيتشه باعتبارها مسارًا فلسفيًا ينتقل فيه الإنسان من حالة الخضوع للقيم المفروضة عليه إلى اختبار فكرة العود الأبدي، ولا يستطيع الإنسان تجاوز هذه المرحلة إلا إذا امتلك إرادة قوة تمكنه من تقبل حياته كما هي، بل والرغبة في تكرارها إلى مالا نهاية، وهو ما يؤدي في النهاية إلى تحقيق نموذج الإنسان الأعلى.

ومفهوم العود الأبدي لم يرد نيتشه أن يبقى مجرد فكرة فلسفية خالصة، بل سعى إلى إدخاله إلى مجال العلم، لذلك كرس جزءا من سنوات حياته لدراسة العلوم الطبيعية، بهدف تقديم إثبات علمي لهذه الفكرة، حتى لا تبقى مجرد تصور ميتافيزيقي كما كانت عند اليونان، غير أن حالته الصحية حالت دون تحقيق هذا المشروع، فاكتفى بوضع أسس عامة ذات طابع علمي لدعم فكرته، ومن بين المبادئ التي تقوم عليها تصور العود الأبدي عند نيتشه هي:

أولاً: محدودية القوى الكونية: إذا كان الزمن غير متناهٍ، فإن العالم في المقابل متناهٍ من حيث المكان، أي محدود في إمكانياته، وينطبق الأمر نفسه على القوى الكامنة فيه، فهي محدودة أيضا، لأنها لا تستطيع إنتاج عدد لا نهائي من الحالات الجديدة دون توقف.

ثانياً- لا نهاية الزمان: يرى نيتشه أن العالم غير مخلوق، أي أزلي، وبالتالي فإن الزمن نفسه أزلي وغير متناه، مما يجعل الوجود ممتدا بلا بداية ولا نهاية.

ثالثاً: استمرار الصيرورة: رأى نيتشه أن العالم في حركة دائمة وصيرورة مستمرة، مادام الزمن غير متناه والقوى محدودة، ومن هذا التفاعل بين اللاتناهي في الزمن والتناهي في القوى، تنشأ بالضرورة دورات متكررة لا نهائية، تعود فيها الأحداث نفسها بشكل متجدد عبر الزمن. (فؤاد زكريا، 2018، صفحة 123)

فإذا كان الشرط الأول لتحقيق العود الأبدي علميا هو أن تكون القوى الكونية متناهية، فإن الشرط الثاني يتمثل في أن يكون الزمن غير متناه، أي أن تستمر هذه القوة في عملها دون توقف، ومع وجود لا نهائية الزمن، لا بد أن تستنفذ هذه القوى المحدودة جميع إمكاناتها المتاحة، فتعود حالة ما لتتشابه، بكل تفاصيلها، مع حالة أخرى سبق أن تكررت من قبل، ومن ثم تتعاقب الأحداث نفسها كما وقعت سابقا، فيكون الكون قد أتم دورة من دوراته، وتظل هذه الدورات تتكرر عبر الزمن اللامتناهي إلى الأبد، بحيث تماثل كل دورة الأخرى.

كما تطرق نيتشه إلى هذه الفكرة في كتابه "إرادة القوة"، الذي نشر بعد وفاته من طرف أخته إليزابيت فورستر- نيتشه، وذلك ضمن القسم الرابع، في الفقرة المتعلقة بالعود الأبدي حيث رأى نيتشه أن فلسفته قادتته إلى هذه الفكرة العظيمة، المتمثلة في العود الأبدي، إذ من يعترف بها ويتبناها يصبح في تصوره من الفئة القادرة على تجاوز الإنسان التقليدي، أما الفئة التي ترفضها أو تعجز عن تقبلها فمصيرها الزوال، لأن حياتها من وجهة نظره لا

تستحق التكرار، وبهذا المعنى يقدم العود الأبدي بوصفه معياراً للانتقاء، وهو ما يعبر عنه نيتشه بفكرة الانتقاء العظيمة، باعتبارها شكلاً من تأكيد الحياة.

ويرى أن دعم هذه الفكرة يستلزم قلب جميع القيم لهذا قال: "وسيلة دعمها: قلب كل القيم. ليست اللذة الناجمة عن اليقين بل عن اللايقين؛ ليس السبب والنتيجة بل الخلق الدائم، ليست إرادة البقاء، بل إرادة القوة؛ ليس ذلك التعبير الوضعي القائل " كل شيء ذاتي" بل "إنه عملنا نحن كذلك، فلنكن فخوريين به" (فريدريك نيتشه، 2011، صفحة 300)، وعليه فإن دعم فكرة العود الأبدي يقتضي التحرر من الأخلاق السائدة ومحاولة استبدالها بقيم جديدة تقوم على رفض أخلاق الشفقة والضعف والانحطاط، واستبدالها بأخلاق القوة وتأكيد الحياة، ولهذا فالإنسان الذي يعي قوته الداخلية ويؤكد حياته هو وحده القادر على تقبل فكرة العود الأبدي.

5-علاقة مفهوم العود الأبدي ببعض المفاهيم الأساسية عند نيتشه

إن أهم ما يميز فلسفة نيتشه هو ذلك الترابط الوثيق الذي جمع فيه بين أربعة مفاهيم أساسية، وهي الإنسان الأعلى مرتبط بموت الإله، وموت الإله مرتبط بإرادة القوة، وهذه الأخيرة مرتبطة بالعود الأبدي.

1-5 العلاقة بين مفهوم العود الأبدي والإنسان الأعلى

قبل الخوض في هذه النقطة، لا بد من تحديد معني مصطلح الإنسان الأعلى، إذ يرى نيتشه أن على الإنسانية أن تبذل جهداً من أجل الارتقاء بأقوى وأفضل الأفراد، أي الإنسان الأعلى وقد عبر عن ذلك على لسان زرادشت بقوله: " إنني أت إليكم نبياً الإنسان المتفوق، فما الإنسان العادي إلا كائن يجب أن نفوقه" (فريدريك نيتشه، 1938، صفحة 06)، و نيتشه لم يحدد صفات هذا الإنسان بشكل مباشر، بل أشار إليه تلميحاً، ووفقاً لأويغن فتك فقد قدم نيتشه ملامحه العامة عبر إشارات تقرب صورته، مبرراً خصائص النماذج التمهيدية والسابقة لهذا الإنسان المتعالي، الذي يسميه بالإنسان المجاوز، وكأن نيتشه في هذا السياق يجني العسل من عدد وافر من الزهور النادرة في البستان الإنساني، (أويغن فتك، 2022، صفحة 174)، وعليه فالإنسان الأعلى عند نيتشه هو ذلك الكائن الذي يجسد أسى مرتبة يمكن أن تبلغها الإنسانية، بوصفه حالة تتجاوز الإنسان الحالي، وقيمة قصوى تسعى الإنسانية جمعاء إلى تحقيقها.

بعد أن حطم نيتشه الوصايا القديمة وأعلن موت الإله، دعا إلى تجاوز الاكتفاء بذكر اسمه والسعي بدلاً من ذلك بلوغ الأعلى، وقد عبر عن هذا المعنى على لسان زرادشت بقوله: "لقد مات الإله، ونحن نريد الآن أن يحيا الإنسان المتفوق" (فريدريك نيتشه، 1938، صفحة 241)، وبهذا لم يعد مصير الوجود بيد الإله، بل صار بيد الإنسان الأعلى، بوصفه الخالق الذي يضفي على كل شيء قيمة جديد، وهنا تتجلى إمكاناته في أفق من الحرية الكاملة، لذلك لا تبرز قيمة الإنسان العادي إلا باعتباره وسيلة لظهور هذا النمط الجديد من الإنسان، القادر على خلق قيم مغايرة، شريطة أن يتحرر من كل القيود، وينبذ القيم التقليدية، فهو الكائن الذي أدرك موت الإله، وجاء ليحل محله، وليعيد إلى الأرض اعتبارها بعد أن أسى استخدامها (عبد الرحمن بدوي، 1975، صفحة 263).

فالعلاقة بين موت الإله والإنسان الأعلى تتمثل في أن ظهور هذا الأخير إنما يكون لاحقا لموت الإله، وفي هذا الإطار يدعو نيتشه إلى تجاوز الإنسان ذاته، باعتباره كائنا ينبغي تخطيه، وقد عبر عن ذلك على لسان زرادوشت بقوله: "إن كلا من الكائنات أوجد من نفسه شيئا يفوقه، وأنتم تريدون أن تكونوا جزرا يصد الموجة الكبرى في مدها، بل إنكم تؤثرن التمهقر إلى حالة الحيوان بدل اندفاعكم للتفوق على الإنسان" (فريدريك نيتشه، 1938، صفحة 6)، فالإنسان إذن كائن يتجاوز ذاته باستمرار، لأن طبيعة الحياة في اكتمالها، والمتمثلة في إرادة القوة، إنما تتجلى من خلاله، غير أن هذه الإرادة لا يمكن أن تظهر إلا بعد موت الإله، لذلك ينبغي للإنسان أن يعي هذا الموت، إذ أن انتصاره على ذاته لن يتحقق إلا في ظل غياب المرجعية الإلهية التقليدية.

فالإنسان الأعلى، على حد تعبير نيتشه، ليس إلا كائنا يتجاوز الإنسان العادي، الذي ينبغي عليه بدوره أن يتفوق على نفسه باستمرار، إذ تتمثل غايته في اكساب مزيد من السمو في الحياة على الدوام، وهذا هو المشروع الذي سعى نيتشه إلى تحقيقه، لأن الإنسان المتفوق وحده القادر على تحمل فكرة العود الأبدي، وأن يقول لها نعم في سبيل إحياء الحياة الرفيعة مرات لا حصر لها، وهنا يرتبط مفهوم الإنسان الأعلى عند نيتشه بمفهوم العود الأبدي، فالإنسان الأعلى هو القادر على إثبات هذه الفكرة وتحملها، وهو الذي يخوض تجربة العود في عمق وجوده الذاتي، باعتباره إمكانية لا تنكشف إلا في أعقاب موت الإله.

2-5 العلاقة بين مفهوم العود الأبدي وإرادة القوة

قبل التطرق إلى العلاقة التي ترتبط بين فكرتي العود الأبدي وإرادة القوة عند نيتشه، لا بد أولا من تحديد معنى هذه الأخير، إذ تعد إرادة القوة مفهوما أساسيا في فلسفة نيتشه، وهي تمثل مبدأ تأسيس القيم الجديد، وقد تبلورت هذه الفكرة لديه بعد تفكير عميق، حتى أصبحت محورا يهيمن على مجمل فلسفته، وقبل أن يصوغ نيتشه هذا المفهوم كان قد وجد جذوره عند أستاذه آرثر شوبنهاور (1788-1860)، الذي رأى أن جوهر الوجود يتمثل في الإرادة بوصفها إرادة للحياة، غير أن نيتشه خالف هذا التصور معتبرا أن جوهر الوجود ليست إرادة حياة، بل إرادة قوة، وهذا ما ظهر في قوله: "ما عثر على الحقيقة من قال بإرادة الحياة، لأن مثل هذه الإرادة لا وجود لها، وليس للعدم إرادة كما أن المتمتع بالحياة لا يمكنه أن يطلب الحياة، ولا إرادة إلا حيث تتجلى حياة، ومع هذا فإن ما أدعو إليه هو إرادة القوة لا إرادة حياة" (فريدريك نيتشه، 1938، صفحة 98)، إذن فبدلا من إرادة الحياة عند شوبنهاور أقر نيتشه بمفهوم إرادة القوة.

تظهر العلاقة بين المفهومين بوضوح في كتاب "هكذا تكلم زرادوشت"، حيث يمثل زرادوشت ذلك الإنسان الذي يسعى إلى تجاوز ذاته، وهذا لن يتحقق إلا لدى من يمتلك إرادة قوية تدفعه إلى تجاوز الإنسان العادي والسير نحو الإنسان الأعلى، وعليه يمثل العود الأبدي المعيار الذي يكشف عن مدى قدرة الإنسان على تقبل تكرار حياته بكل تفاصيلها، ولن يرض بهذا التكرار إلا من أحب قدره على حد تعبير نيتشه، لهذا قال في كتابه "هذا هو الإنسان": "إن صيغتي المبجلة للتعبير عن العظمة لدى الإنسان هي حب القدر، أن لا يطلب المرء شيئا آخر غير ما هو كائن، لا في ما مضى، ولا في ما سيأتي، أبدا على الإطلاق" (فريدريك نيتشه، صفحة 63)، فحب القدر عند نيتشه ليس إلا

تعبيرا عن إرادة القوة، لأن الإنسان القوي هو الذي لا يحاول الهروب من قدره بل يتقبله كما هو، بكل ما فيه من قوة وضعف، ويكون مستعدا لتكراره إلى مالا نهاية.

وهكذا نرى أن تفسير العود الأبدي عند نيتشه يستند بدرجة كبيرة إلى فكرة إرادة القوة، باعتبارها ماهية الحياة، فعنصر القوة في إرادة القوة لا يوجد خارج الإرادة، ولا يكتسب عن طريق العمل والكفاح، بل هو كامن فيها ذاتها، وهذه الإرادة أينما وجدت تتجه دوما إلى الأمام وتحاول وتسعى باستمرار إلى تحقيق غاياتها المنشود، ولذلك فهي ترتبط بالتكرار الدائم، وفي عنصر الاستمرارية هذا تتجلى العلاقة بين العود الأبدي وإرادة القوة، إذ إن كل كليهما يقتضي نشاطا مستمرا ودائما، ومن ثم لا يمكن أن تكون الكينونة في عالم إرادة القوة ثابتة، لأن الثبات ليس في حقيقته إلا تعبيرا عن النقص، بوصفه نقيضا لطبيعة القوة المتزايدة في العالم، فحيثما

وجدت القوة والتزايد وجد الاستمرار والعودة (جعفر، 1999، صفحة 438)، وعليه فإن العلاقة بين العود الأبدي وإرادة القوة هي علاقة تكامل، لأن إرادة القوة هي تمنح الإنسان القدرة على تحمل فكرة العود الأبدي، الذي يكشف بدوره عن حقيقة هذه القوة من خلال مدى قدرة الإنسان على تقبل فكرة تكرار حياته بكل حرية.

6. خاتمة

يعد مفهوم العود الأبدي من أكثر المفاهيم عمقا وتعقيدا في فلسفة نيتشه، لكونه يجمع بين البعدين الكوني والوجودي في آن واحد، فهو يطرح من جهة أولى تصورا دائريا للزمن يقوم على تكرار الوجود بكل أحداثه وتفصيله إلى ما لا نهاية، ومن جهة ثانية يجعل من هذا التصور اختبارا حاسما لقيمة الحياة الإنسانية، من خلال مساءلة الإنسان حول مدى قدرته على تقبل حياته بكل نجاحاتها وإخفاقاتها واستعدادها لتكرارها أبدا دون ندم أو رفض. وعليه فإن فكرة العود الأبدي ليست مجرد فرضية ميتافيزيقية، بل تعد تحديا وجوديا يواجه الإنسان بذاته وبكيفية نظرتة إلى الحياة، ومن هنا يتضح أن هذا المفهوم لا يستقل بذاته داخل النسق الفلسفي النيتشوي، وإنما ترتبط ارتباطا وثيقا بمفاهيم أساسية أخرى، مثل الإنسان الأعلى وإرادة القوة، فالعود الأبدي يشكل شرطا ضروريا لظهور الإنسان الأعلى باعتباره الكائن القادر على تحمل فكرة التكرار الأبدي للحياة دون خوف أو تدمير، بل وتحويلها إلى فعل إرادي يعبر عن الحرية والقوة والتأكيد الكامل للحياة.

كما أن الطابع الرمزي والإيحائي في كتابات نيتشه ولا سيما في كتابه هكذا تكلم زرادشت، جعل مفهوم العود الأبدي قابلا لقراءات فلسفية مختلفة يمكن تقسيمها إلى فئتين: فئة تفهمه فهما كونيا، وأخرى تتعامل معه بوصفه مفهوما مجازيا، وربما كان هذا ما أدى إلى استمرار حضوره في نقاشات الفلسفات المعاصرة، وعليه فإن القيمة الحقيقية لهذا المفهوم لا تكمن في محاولة إثباته إثباتا علميا، بل في قدرته على مساءلة الإنسان حول معنى وجوده، ومدى قدرته على تحمل تكرار الحياة التي عاشها مرات لا نهائية، وبهذا يمكن القول أن العود الأبدي عند نيتشه ليس غاية في حد ذاته، بل وسيلة فلسفية تهدف إلى إحداث تحول جذري في وعي الإنسان، من خلال دفعه إلى إعادة تقييم علاقته بذاته وبالعالم، وهذا ما جعله يظل مفتوحا على تأويلات متعددة، وقادرا على إثارة التساؤلات حول الحرية، والمعنى، وإرادة الحياة في الفكر الفلسفي المعاصر.

7. قائمة المراجع:

- نيتشه فريدريك. (1938) *هكذا تكلم زرادشت*، تر. فليكس فارس، القاهرة، مطبعة جريدة البصيرة.
- نيتشه فريدريك. (2011). *إرادة القوة*، تر. محمد الناجي، المغرب، إفريقيا الشرق.
- نيتشه فريدريك، *هذا هو الإنسان*، تر. علي مصباح، منشورات الجمل.
- بدوي عبد الرحمن. (1975). *نيتشه* . الكويت، وكالة المطبوعات للنشر.
- جعفر، صفاء عبد السلام. (1999). *محاولة جديدة لقراءة فريدريك نيتشه*. دار المعرفة الجامعية.
- وهبة مراد. (2007). *المعجم الفلسفي*، القاهرة، دارقباء الحديثة،
- زكريا فؤاد. (2018) ، *نيتشه*، القاهرة، مؤسسة هنداوي للنشر .
- كونزمان بيتر، (2001)، *أطلس الفلسفة*، تر. جورج كتورة، لبنان، المكتبة الشرقية.
- مطر أميرة حلمي. (1965). *الفلسفة عند اليونان*. دار ومطابع الشعب.
- صليبا جميل. (1982). *المعجم الفلسفي*، بيروت، دار الكتاب اللبناني.
- فتك أويغن. (2022). *فلسفة نيتشه*، تر. إلياس بديوي، العراق، دار الكتب العلمية.
- Nietzsche, Friedrich. (s.d.). *Le Gai savoir*. Trad. Henri Albert, Societé DV mercvre de France, Paris.
- Sighe Nzouaton Marius. (2019). *la Qestion de l'eternel retour chez Nietzsche dans ansi parlais zarathoustra* , Departement de philosophie, école normale superieure, université de Yaouandi 1, Cameroun.